

## نكر ومانسر

لا شيء يدعو للخوف، فكل الأمور ستنتهي سريعًا، ثم ما الذي يخيفك في الموت، في الفناء، اللحظة الأخيرة!، آخر ألم، آخر صرخة، آخر نفس، ما المخيف بهم، أو ليس البقاء أكثر رعبًا! نعيش ونحن على يقين بأن القادم أسوأ، اللحظة القادمة أشد إيلامًا، صدى الذكريات يمزق نياط القلب، كم أنت عجيب أيها البشري، تخشى الموت ولا تخشى هذه الفواجع المتلاحقة بكل لحظات الحياة، فما المميز بها لتتشبث بصدى صراخك، لا شيء، حقًا لا شيء، لكن لا تقلق، فما دمت متمسكًا بالخلود فأنا أعدك أن أحقق لك أمنيتك، ستظل ذكرياتك خالدة، تدور بعقلي ما حييت، علومك ستأخذ طريقها مني مجرى الروح من الجسد المخصص لها، رغم أنها روحي أنا، وجسدي أنا، لكنني سأحفظ لك ذكرياتك جميعها، حتى ما لا تستطيع تذكره، أول خطوة خطوتها، أول كلمة، وحتى أول دقة قلب لك، ثم دوت قهقهات متتالية ارتج لها سقف المجلس وجدرانه، قهقهات اشتد على إثرها نشيب وصراخ الآخر، ذاك الذي يجلس القرفصاء بركن صغير من المجلس، سقفه على بعد متر واحد من ترابه فلا يستطيع الوقوف، ولا فرد جسده، تنساب على وجنتيه عبرات ملتهبة كالجمر، يتفكر في مسكنه الممهد، قصره الشاسع، زوجه الجميلة، وابنته الرقيقة، هل سيعلمون بموتي، من سيخبرهم أي نحررت على يد مآفون كهذا، أوه بماذا أفكر! هل

## يحدث في الحجم

سأمت حقا هكذا ميتة سأمت كالجرذان فداء معتقدات هذا الأبله، رباة؛ ما هذه الفاجعة، وأي اختبار هذا، لمن سأترك جاهي وسلطاني، لمن ثروتي وأموالي، ما زلت أريد الحياة، أريد التمتع، أريد أن أنعم بالمحافل والمراقص، أن أشعل جذوة الشباب، وأن أسعى لطوي الحياة بين يداي، اللهم نجاه، اللهم رحمة...

قطع حبل أفكاره وفواجعه صوته الهادئ كسفنونية كلاسيكية ترخي ما هاج من الأعصاب، وتروح عن القلوب ما ألم بها غير أن مضمون كلامه عكس ذلك تمامًا: يا هذا أي كبر يسكنك لتفكر بالفجر والمجون وأنا على وشك قطف ثمارك، وإنزال حكمي بحياتك، إن حق أن لك رب فحري به تركك تلاطف شفرات سكيبي وأمواج طلاسمي وتمتماي بعد تطلعاتك تلك، لا تهدر وقتي بمراقصك ومحافلك تلك فالليل أوشك أن ينجلي، ثم تحرك من موضعه برشاقة تتنافى مع ارتفاع سقف المجلس، وقام كمتمرس يدري جيدا ما يفعل وكيف يفعل بثبت جسده السمين على أرضية المجلس بأغلال أحكم به ربط أطرافه، ثم قال وهو يهوي بسكيبه لينحر عنقه أعدك أن أبلغ أهلك بخبر فناءك، ولا تقلق سأعرف بطريقتي الخاصة طريقتي إليهم، انفجر بعد كلماته نبع من الدماء الدافئة، أصاب بعضهم ثيابه ووجهه، فأخذ يتذوقهم بلسانه منتشيا مستمتعا كشارب كأس من أفخر الخمور يدور بعدها في شدة نشوته، ويتناسى كل ما قد يدور بخلد مكروب أضناه العشق أو فقير يعصف به القدر، وأخذ يتخبط بسكره بأرجاء المجلس أو بالأحرى المقبرة.

دقت الساعة الثانية عشر مساءً، إنها ليلة الخامس عشر (10) من مايو، انكمش على نفسه في غرفته يخشى التحدث، يهاب الحركة، يجزعه الأنين، رغم سكون الليل، إلا أن سكونه هو يشقه صراخ وعويل، رباة؛ اجعل هذا

اليوم يمر بسلام، ولا ترني في أهلي وأحبي مكروه ككل عام، فمنذ سنوات ويومي هذا لا يمر على خير أبدًا، أنا ذا الثلاثة والعشرين عامًا لم أهنأ بعشر منهم أبدًا، فهذا اليوم المنحوس دائمًا ما يحمل رائحة الدم، وصهيل الموت، البتر والفقد يتربصون بي، فلمن الفاجعة هذه الليلة، أهي لابنتي ذات الربيع الأوحده، أم لزوجتي البريئة، فقد فقدت الجميع منذ دبت أقدامنا هذا القصر، قصر تاريخي قديم، كتلك القصور التي كان يسكنها ملوك العصور الوسطى، طرازه قديم ابتداءً من هيئته الخارجية، وحديقته وحتى أثاثه ومفارشه، كل شيء به تاريخي، حتى أن هناك صورة عريقة معلقة بمنتصف الردهة لأربعيني يتحلى بالذهب والفضة، ويرتدي أفخم الثياب وأغلاها، على رأسه تلك القبعة الضخمة التي كانت تميز أصحاب السلطان والجاه من عامة الشعب، لعله أمير أو ما شابه ذلك، في أحد ممراته تراصت تماثيل متقنة الصنع، كجنود يرتدون الحديد حارسين لكنوزهم وثوراتهم، يقودوك لتلك الغرفة المعزولة، غرفة لا تطأها الشمس، لم تعهد النور أبدًا، كمقبرة، ونيسها الوحيد هو الظلام، ظلام دامس يجعلك تخشى الاقتراب، تخيفك مجرد فكرة العبور بجوارها، على يسارها غرفة أخرى يسكنها شاب وزوجته، لطالما طالبت به بمغادرة القصر لكنه لا يملك بيت سواه، ليس له مسكن يسكنه غير تلك الخرابة التي يحسده عليها الغادي والقادم، فمن يدري بما داخله من قسوة وظلام، لو يسمعون ما به من أهوال، صراخ ودماء وسواد، لكنها العادة دائمًا أن نحسد على ظواهرنا الهادئة، وقلوبنا المضطربة تتلوى وجعًا، تحترق من تلك الأعلال التي نحكمها حولها، يحاول الهرب، لكن عقولنا لا تسمح له، لا تترك له مجالاً للاعتراض، ترضخه بكل الوسائل الممكنة...

أخذ يدور بذكرياته ما بين الأمس المظلم، وسنوات هذه الذاكرة الماضية، ينتشي مع كل ذكرى مربعة ويصرخ لكل ضحكة تشق طريقها

لعقله، أين معلوماته، أين ما أبحث عنه، التقط قطعة من مخه الأيسر ليلتئمها كالمجنون السافر، دوت منه ضحكة وهو يتذكر، منذ عشر سنوات وبنفس تاريخ اليوم الخامس عشر من مايو، قتل جده أيما قتلة، لا أحد يعلم كيف قتل، فقد وجد في ذلك الممر الذي يصطف بطوله حراس مسلحين يرتدون حلة للحرب، مفقوع العينين منحور العنق، جمجمته شق منها جزءاً كما يشق قالب من الكعك وجزءاً من مخه مفقود لا يدري أحد أين اختفى وكيف ولماذا قطع؟

وعلى كتفه الأيسر يوجد نقش عين كبير نخر عظامه، ودمى له كتفه، أثار موته الهلع، فارتفع الضجيج والصراخ، واشتد النواح، جلست القرفصاء أنظر رأس جدي، أبكي بكاء اليتيم حين وافته أخبار يتمه، فقد كان جدي وصديقي وأبي، تخلل عقلي طريقة قتله، كم عجيبة هي!، فتساءلت في قرارة نفسي؛ كيف فعلها، وبأي أداة شق رأسه هكذا!، وما الدافع، لماذا هذا الجزء؟!، العديد من الأسئلة ترددت بعقله، وعلامات تعجب كثيرة وضعت حول موته، الجميع كانوا يبكون ويصرخون إلا أبي، كان شيء آخر يدور بخلده، هم آخر أثقل كاهله حتى أعجزه، وأصمت لسانه، وكف جوارحه، توجه بعدها لتلك الغرفة المظلمة، واختفى بها عدة ساعات لا يدري أحد ماذا يفعل، انتهى الشريط هنا، في هذه اللحظة الحماسية فركض كالجائع العطش إذا تراءى له سراب الماء في شدة جذب الصحراء، يلتقط قطعة أخرى من فص جبهته، ليستعجل الأحداث، قلب ذكرياته بين أحداث الصباح مرة، وأحداث المساء عدة مرات، لكن لم يحالفه الحظ هذه المرة، فلم يجد غير ذكريات ابنته الصغيرة يوم مولدها، وعن قراره بتسميتها سلمى عليها تأتي بالسلام معها، أول ضحكاتهما، لعبها معه، أول نظرة تبادلوها، كيف احتضنها.....

ما هذه التفاهة، ليس هذا ما أبحث عنه، مشاعر مقززة، لاقيمة لها، غير إشعاري بالغثيان، عاد لجثته يفتش عن الجزء المنشود من عقله، ذاك الجزء الذي سيكشف له غايته، كالمنحوس الذي يبحث عن حظه بين المهملات المهملة، صندوق تلو صندوق، وذكرى تتبعها أخرى.

لكنه ما زال يبحث، كيف يفتح الباب، أنى له أن يصل لغايته، وجبته دسمة، وإنه لإنجاز عظيم أن وصل إليها قبل أن يعث بها أحد، فذكرها ما زالت طازجة تسيل رائحتها لعابه، ويجري لمذاقها ريقه، وينتشي من مكنوناتها عقله وحواسه، فكأن يده لامست ما لامسته ضحيته، وتناول فيه ما طعمته، ومشت أقدامه بنفس ممشاه، عاشت ذاكرته ذكرياته كلها، كأنما هو من شاهد قتلة الجد، هو من مر بالردهة، ولامس التماثيل، هو من لثم ابنته وسماها ولاعبها، هو من مشط شعرها، ووضع لها الأقرط، كل ما عليه أن يلتهم ذكراه، يطعم مخه، يلتهم عظامه، يتذوق أطرافه الطازجة، إن تناول أمعاءه عرف ما تناولته تلك المعدة من أول مطعمها، عرف لمن نبض قلبه حبا، ولمن انتفض كرها وبغضا، رأى كل ما بصرتة عيناه إن طعمها بديعها وقبيحها، هوى على جثته كالسكير إذا فقد توازنه.

ثم قام بالتقاط قطعة أخرى من مخه عليها المنشودة، عليها هي ما تحمل ذكراه المفقودة، كنزه الدفين أخذ يقلبها في فيه، يعضها بين أسنانه كقطعة اللحم، يشق عليه قذفها بمعدته من مر ما تحمل، من شد خذلان ذكراها، بعد رؤية والده كيف مات الجد ميتة بشعه، كأبشع ما يمكن أن يتمثل الموت، ارتكن على إحدى حوائط الممر وبصره يرتكز على رأس والده فقط للحظات خلناه يفكر في القاتل، من هو ولماذا قتل جدي ؟ إلا أنه لم يكن يفعل، فقد شغله أمر ميراثه الملعون، كيف سيتولى

مهمة بكل تلك الخطورة، وما الخطأ الذي ارتكبه جدي ليلاقي حتفه بتلك الطريقة، بعد لحظات شرد غلفها صمت مطبق، وأعين حائرة، وخوف تصك له الأسنان ارتعاشاً ورهبةً، ركض كالمجنون إلى نهاية الممر، حيث الغرفة المظلمة، تلك الغرفة التي لا يسمح لأحد مطلقاً الوقوف أمامها أو الاقتراب منها، مكث بها عدة ساعات.....

توقف أيها العقل الخرف، أتعني أنك لا تدري كيف دخلها، لا تعلم كيف مر والدك من الممر وصولاً للغرفة، كيف عبر الرصد!

أخذ يقلب بين محتويات ذاكرته الجديدة، كل شيء طبيعي إلا من أصوات ليلة الخامس عشر من مايو، حركات وهمس وفحيح يرتجف على إثرها أهل البيت جميعهم، إلا والده، ذاك الذي يجثو على ركبتيه أمام باب الغرفة، يتغنى ببعض كلمات لا يفهمها أحد.....

هيا يا صغيري جئنا للجزء الأكثر إثارة، والدك هذا كان أكثركم ذكاء، نفذ الأوامر، وامتلث للقوانين بشدة وحرص، عاد لذكرياته .. لا يستطيع أن يرى ما يخطه الرجل، الجزء الأكثر أهمية، رغم كشفه لنص تعويذة الأمان، ثم أين أجد الأدوات؟ أينها!، ما هذه المهزلة، لماذا الجزء الأهم دائما ما يأتي بالنهاية، لماذا يجب أن أعرف كل هذه التفاهات التي لا تجدي ولا تغني من جوع، فهذا الوالد الذي يجثو على ركبتيه يستجدي رصد الغرفة بدمه وحياته للإبقاء على حياة أسرته لا يشعرني بغير التقزز، دائما ما عجزت عن فهم تلك المشاعر الإنسانية التي تدعو الآخرين للتضحية حيناً من أجل أقربائهم وربما حتى لأجل غريب لا يعرفوه.

هذا الرجل استحق الموت، استحق أن يعقر بعيدهم حتى تستطيع عشيرته الاستمرار، حتى لا يلتهمهم الفناء، طالته أيد أحد النكرومانسر، شق طريقه إليه كثعبان بين الأعصان بصره على فريسته الشهية، عصفور لا حول

له ولا قوة، لكن في اللحظة الأخيرة، خطفه صقر جارج، لتذهب الفريسة، ويذهب معها أمل الإطعام، هكذا بعد عشر سنوات من موت الجد، قضاها الوالد في حراسة هذا الكيان بكل ما أوتق من قوة، يسكن القصر فلا يستطيع غريب التعدي عليه أو أخذه وتحويله لمكان أثري قديم، يتردد عليه البشر، يحرس الغرفة فلا يمر أمامها مار، يحفظ سرها وسر حارسها الخفي فلا يدري بشأنهم بشر غير حارسهما، حتى هو ربما لا يدري ماذا يحرس.

وفي يوم وصل إليه أحدها، أراد معرفة تعويذة المرور، كيف يفتح الباب، كيف نأمن الرصد، أوشك على قتله، ثبته بإحدى غرف القصر، على أحد الأسرة العتيقة، وعلى أرض الغرفة نشر أدواته، جمجمة طازجة، سكين حادة، مبخرة، وبعض قطع الخشب، شق يده بسكينه ورسم بدمه دائرة على أرضية الغرفة، نشر الحطب على شكل نجمة سداسية تشق الدائرة وفي منتصفها ثبت جمجمته وقد نثر عليها بعض قطرات دم الأضحية، ثم قام بإضرام النار بهم ووضع بعض البخور عليهم وهو يتمم بتعويذاته ( يا ملك الملوك، يا سيدي الخالد، اقبل الأضحية، وأعطني الأمان، يا سيد العوالم السبعة، أنا عبدك المطيع، فأمني و.....) قطع صلواته صوت أقدام قوية من حوله، كجيش يمشي بخطوات عسكرية فتصدر خطواتهم ديبب عالي، صهيل خيل أصم أذنه، وفحيح تلعثم له لسانه، صمت لحظات ثم أعاد جمع قوته، وتمالك نفسه، ليرتل تعاويذه ( باسم جالوت وماروت، باسم سليمان، باسم لوسيفر ملك ملوك الجان، باسم سيد العالم السفلي، بالدم والعظم، واللحم، أقدم قرباني.....)

سمع ضحكات منتصرة يتلاشى بعدها الضباب، وتخدم له النيران، كل الأصوات تخفت، كأن الجيش يتقهقر وما تقهقر، لكنه أدى مهمته وانصرف، قام يحمل سكينه، فأفجعه ما رأى، أضحيته قد نحرت، قطعة من مخه

قد شقت، وعيناه مفقودتان كوالده تمامًا، وعلى كتفه الأيسر نقش العين، نفس الموتة بتفاصيلها كلها، ألقى سكينه بغضب فأصابت من الجثة ما أصابت، قطع جزء المخ ذاك الذي يحمل ذكري المنشودة، وأخذ العينان اللذان رأى ما حدث وشهدها، سحقًا لك أيها الخبيث، سأنتقم منك أشد انتقام، مهما حاولت منعى سأجد طريقي إليك، وسأعلم شئت أم أبيت كل ما أبحث عنه وما أرجوه من معرفة...

لم تكن هذه ذكرياتك يا صغيري، هذ ذكرياتي أنا، أما أنت فما أدراك بكل هذه الأحداث المشؤمة، أخبرك سرًا، سواء كان النصر لي أم لرصد المقبرة، أنت وحدك الضحية، أنت وأسرتك، أما أنا فمحاولاتي ستستمر، وهو سيستمر في الدفاع، وأنتم تدهسون بين الأقدام.

في صباح الخامس عشر من مايو، بحثتم عن والدك كثيرًا، حتى وجدته بالغرفة السفلية القابعة بقبو القصر محكم القيد بسرير عتيق، عينه منزوعة، ومخه مقطوع منه جزء، وعلى كتفه نقش العين، تمامًا كما وجدت جدك قبل ذلك، لم تدوي منك هذه المرة صرخة، بل دوى تساؤل، ما سر هذا اليوم، وما سر الأجزاء المفقودة، لكن في هذه اللحظة، كانت قد حانت ساعتك، هو دورك لترث، فأنت أكبر أفراد العائلة، بل وآخرهم بعد موت الجميع، اجتمع حولك النساء يصرخن، ويندبن حظوظهم، يلعنون الموت، وأنت لا تدري عنهم شيء.

أمر آخر يشغل حواسك، بصرك وعقلك وإحساسك، أمر الميراث!، لا بد أني سأجد ضالتي بهذا الجزء من ذاكرتك... قهقهه عاليًا، ثم هوى لوجيته يلتهم منها آخر جزءاً من المخ، والعينان، وهو على يقين بأنه سيجد بهم غايته، وسيصل بالانتهاء منهم إلى هدفه وغايته، تناولها مستمتعًا كمن يأكل طعامه المفضل، فارتسمت على قسماته علامات التلذذ...

هيا هيا، حانت لحظة حل اللغز، دار بين الذكريات، تلك التي انسابت على عقله، ما بين زواجه وعمله خارج المنزل وسهراته الحسان، حتى وصل لغايته....

يقف في الغرفة حيث جثة والده، من حوله النساء كعهدهم في هذه المواقف ليكون ويصرخون، إرتكن بكته الأيمن على أحد جدران الغرفة، ليتهيأ له من الفراغ شيء لا يدري ماهيته، سد بطوله الأفك ما بين أرض وسقف الغرفة، أحمر كالدم، يغطه شعر غزير حتى أخصص قدميه لإمن رأسه التي تبدو للناظر حليقة، بمقدمها قرنان حمراوان، عيناه ضيقتان لا يناسب ضيقهم كبر حجمه، وشفاهه الغليظة، لا أنف له...

ارتجف رعبًا، وتكونت بعض قطرات عرق على جبينه، قلبه انتفض فزعًا وبعد طول نظر دام لحظات سقط مغشيًا عليه، استفاق بعد ساعة على الأرجح ليجد نفسه مستلقي بأول الممر الذي يقود إلى الغرفة المعتمة، سار كمسير عقله لاغ خلال الممر حتى عبره، وصولا للحجرة تلك، جلس أمامها، فتمثل من خلفه ذاك المخلوق المهيّب، كاد قلبه يقف عندما شعر بيد شديدة تربط على كتفه الأيسر، إستدار إليه، فأخرسته بشاعته، ظل ينظر إليه، حتى تكلم الكيان، فكان صوته كالرعد أصم أذانه للحظات، صمت قليلا، ثم عاد التحدث بنبرة أضعف وعلى وجهه ارتسمت بسمة مريية كشفت عن أنيابه قائلا:

أهلا بك بيننا، حانت ساعتك لتحمل الأمانة، ميراث عائلتك الآن لك، ولنسلك من بعدك، أنا القاهر، من أعتى ملوك الجان، منذ قرون وأنا أرصد هذا القصر، إلا أن أمري مختلف، فلم أعقد هاهنا بطلاسم، بل هي مهمتي الأبدية، لا يعينيك ماذا يوجد هنا، كل واجبك أن تقف لنا كالخادم المانع، تلبى طلباتنا، ترتل طلاسم القوة، وتمدنا ببعض دم نقنات بعهد

## يحدث في الحجم

كل خامس عشر من مايو، إن لم تفعل، تصل أنيابنا لأحد أهلك، وتقف لنا مانعًا، تمنع البشر أن يعبروا أمام هذه الغرفة، وتغطي أمر جرائمنا التي قد تفضح سرنا كجثة والدك تلك.

كان يسمع كلماته فينصاع لها كأنه ليس أمرًا غريبًا عنه، كأنما ورثه من عائلته وأجداده وما هو بمورث.

\_ الآن رتل تلك الأحرف على باب الغرفة.

= لكن لم تكن هناك حروفًا من قبل.

\_ ضحك قائلاً: عزيزي هل تعتقد أنني سأضع مفتاحي هكذا أمام المارة، لا يراهم غير الوريث، فرتل.

= باسم العهود الخمس، باسم القاهر راصد السر الخفي، أنا الوريث، فأعطني الأمان لأعبر، وأعطني القوة لأخدم، ثم التقط خنجرًا برز أسفل باب الحجر فشق به كفه الأيسر، وخط بدمائه دائرة، تحوي داخلها شاهد قبر، وصليب، ففتح الباب على مصراعيه، فإذا بعينه تريان بوضوح رغم شدة العتمة، بمنتصف الحجره درج، نزل درجاته بروية، حتى وصل لتابوت بمنتصف القبو ذاك، كاد أن يفتحه إلا أنه عندما اقترب دفعته طاقة هائلة حتى ارتطم بالحائط بقوة.

ضحك القاهر من سذاجته، أعلم أن فضولك قوي لكن يلزمك تعويذة.

فارتفع صوته صارخًا، أنا الحارس، أنا الوريث، أنا المؤمن، بكل عظم رم، وبكل لحم بلى، وكل مخ هاهنا باق، وكل عين حفظت وحنّطت، سأفدي سركم بدمائي، بقوة القاهر وبحبث النكرومانسر، وبضعف البشر، سمحوا لي بالاقتراب.

قهقه النكرمانسر منتصرًا، متهجًا، تقسمون بخبثي، ليفتح التابوت،  
وأقسم أنا بخبثي وسذاجتكم لأتصرنَّ ولو بعد حين.

الفجر أوشك أن تشرق شمسه، يجب أن أسرع أو عليَّ الانتظار عامًا  
آخر، خرج مسرعًا متوجهًا إلى القصر، وقف أمام الحجره دون أن ترتعد  
أطرافه فقد علم السر.

ظهر القاهر وأوشك أن يمنعه، إلا أنه جثا أرضًا وأخذ يرتل التعويذة..  
(باسم العهود الخمس، باسم القاهر.....) فتراجع الرصد وانفتح الباب،  
واصل حتى التابوت، ثم نادى يا قاهر؛ النصر لي اليوم، فقد وصلت  
قبلك للحارس، قتلته وحصلت على أسرارك، اليوم المعرفة لي، والسلطان  
لنسلي وأتباعي، رتل تعويذة التابوت فانفتح، تقدم حتى الجثة المحنطة،  
الملك التاسع والأخير، ها هي نهايتك ونهاية موروثاتك، آخر من ملك  
الجن وطوعه، لن تكون الأخيرة بعد اليوم، فكل علمك وتعاويذك  
وطلاسمك اليوم لي، فقط عليَّ أكل مخك هذا، وعينيك هاتان، اقترب  
مبتسمًا منتصرًا، حمل عيناه، فإذا هما عينان والد ضحيته، ذاك الذي قتل  
على سريره وخفيت عيناه وجزءًا من مخه، اقترب للمخ، فلم يجد غير  
معلومات مكررة، ضرب التابوت بقدمه حانقًا، ما هذه السخافة، أين.....  
قطع عبارته صوت القاهر الضاحك، لسنا بتلك السذاجة لنضع كل أسرارنا  
بقصر كهذا، وتحت حراسة بسري، لكنك كنت ساذجًا بالقدر الكافي لتصدق.

تمت

مرورة معتمد